

د.براهمي نصيرة

الفكر الاجتماعي

لدى إبن خلدون

محاضرة
بعنوان:



جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

مقياس:

تاريخ الفكر الاجتماعي والسياسي
في الفترة المعاصرة

المستوى الثالثة تاريخ عام

محاضرة على الخط



عناصر المحاضرة:

القواعد
المنهجية عند
إبن خلدون

الأسس العقلية
والتجريبية
للنظرية
الإجتماعية

تأسيس إبن
خلدون لعلم
الإجتماع

نبذة عن
إبن خلدون

مقدمة:

إذا كان الغرب قد بدأ منذ مطلع الفترة المعاصرة في تأسيس علم الاجتماع فأخذوا ينظرون له ويضعون قوانينه، فإن المفكر والورث ابن خلدون قد سبقهم في ذلك بأشواط قبل حوالي ستة قرون، من خلال ملاحظاته ودراساته ورحلاته وتجاربه،

فتتبع التواجد البشري وعلاقاته الانسانية المتشابكة في شمال إفريقيا، وغيرها معتمدا على مناهج وقواعد معينة، ولقد عثر الغرب على إنتاجه فأخذوا عنه وكانت نظرياته

مرجعا لهم.



ضمن هذا السياق نطرح الاشكالية التالية:
ما هي القواعد التي وضعها ابن خلدون في علم الاجتماع؟
وماهي الاسس العقلية والتجريبية لنظريته الاجتماعية؟
وفيما تمثل منهجه؟

سنحاول الاجابة على هذه التساؤلات بالإعتماد على المنهج التاريخي
وبإستخدام مجموعة من المراجع.

نبذة عن ابن خلدون:

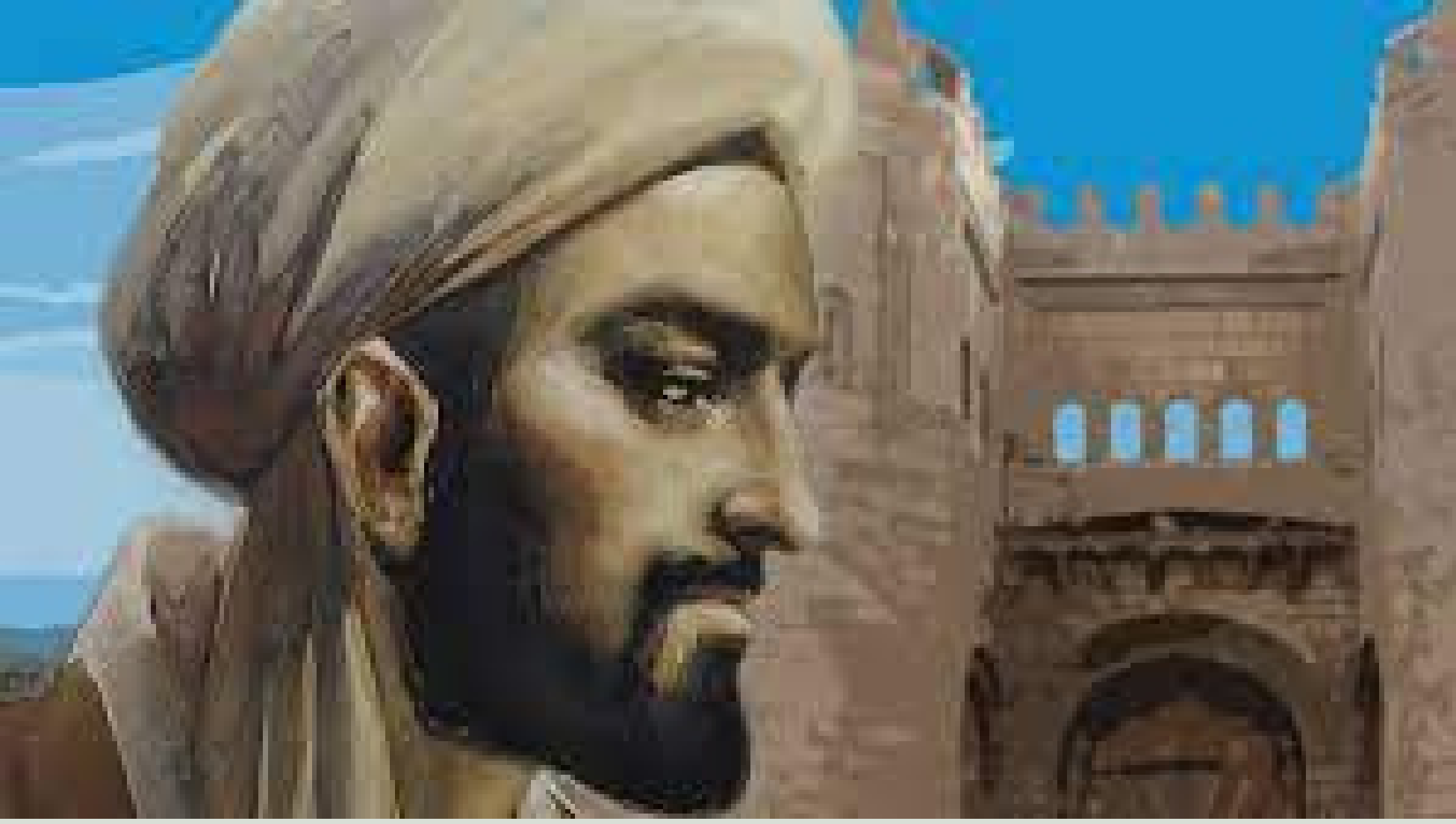
هو عبد الرحمن ابن خلدون ولد سنة 1332 في تونس، حفظ القرآن ودرس العلوم الشرعية والمنطق والفلسفة والحساب وغيرها، تقلد مناصب ووظائف إدارية وعين بالمجلس العلمي بفاس مع السلطان أبو عنان وفي نفس الوقت عين ضمن كتابه وموقعيه، ترك ابن خلدون المغرب حيث إستقال من منصبه وهاجر إلى الأندلس أين لقي ترحاب كبير وكلفه سلطان غرناطة



ببعض المهام والتي نجح في انجازها مما أدى إلى كثرة
الوشايات حوله ولخشيته من آثار ونتائج تلك الوشايات انتقل
إلى بجاية وتولى فيها ارقى المناصب ثم إلى بسكرة ثم مرة
أخرى إلى فاس حيث تفرغ فيها للقراءة ثم إلى تلمسان أين هجر

السياسة واعتكف للقراءة والتأليف
وبداً بكتابة مؤلفه الشهير "العبر
واديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من
ذوي السلطان الأكبر"





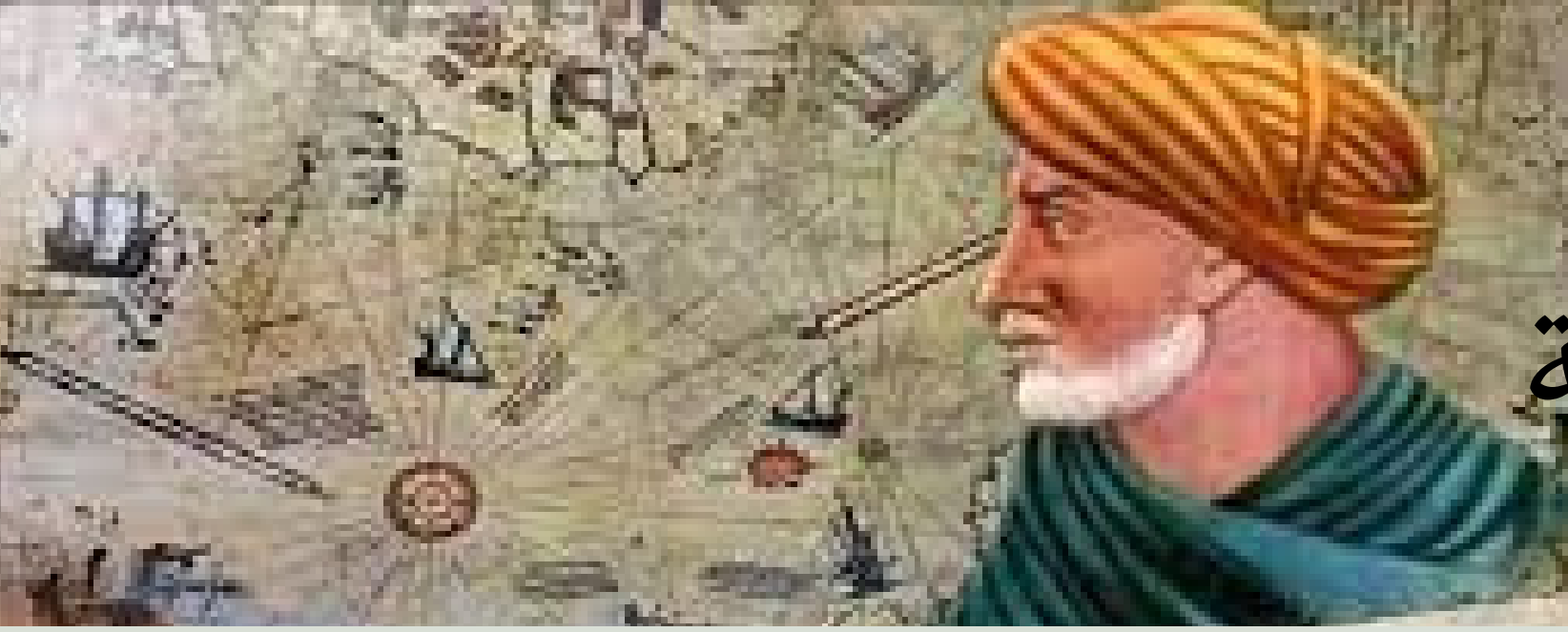
وجعل له مقدمة طويلة تحتوي على
افكار كثيرة حول العمران البشري
ثم عاد إلى تونس لتنقيح مؤلفه ومكث
بها أربع سنوات، بعدها هاجر إلى
الاسكندرية فالقاهرة ونظرا لشهرة
أفكاره قوبل بالترحاب الحار ودرّس

بالأزهر كما درّس بإحدى المدارس الفقهية المالكية، عين قاضي قضاة المالكية
وهو منصب رفيع إلا أنه تقلده لمدة سنة واحدة فقط نتيجة للوشايات التي ظلت
تلاحقه، وقد أدى فقدان زوجته وأولاده جميعا إلى جعله زاهدا في الحياة كما
كان تعيينه في كل مرة في منصب جديد إلا ونتاج عنه التنحية منه نتيجة
المؤامرات، توفي ابن خلدون بالقاهرة ودفن فيها سنة 1406.



يعتبر ابن خلدون من أكبر مفكري عصره
وكان رجل وعالم ومفكر، خدم ملوكا كثيرة،
أتاحت له تنقلاته التعرف على شخصيات
عديدة كما أنه عاصر حوادث معقدة اثرت
في حياته وفي بحوثه من ناحية أخرى، تميز

بالذكاء والحنكة ودقة الملاحظة، كما أثرت فيه وقائع عصره والذي تميز
بالتراجع والانحطاط وتقلص حكم المسلمين في الأندلس غربا وهجمات
التتار شرقا وضعف الدولة الإسلامية ودخولها في مؤامرات وحروب وكذا
انتشار الأمراض والجمود الفكري وانتشار التفكير الخرافي.



تأسيس ابن خلدون لعلم الاجتماع:

تطرق ابن خلدون إلى الظواهر الاجتماعية ووقائع العمران البشري وأفكاره في هذا

المجال تمثل البدايات الأولى لهذا العلم سابقا علماء الغرب بما يزيد عن أربع قرون ونصف.

تكلم ابن خلدون عن الظواهر الاجتماعية وعن إتساعها وتنوعها ودارت أفكاره حول السكان والعمران والطبقات والأحوال الاجتماعية وعلى التطور الاجتماعي الذي لا يتم مصادفة وإنما تحكمه قوانين وهذا يتطلب دراسة المجتمع البشري،

هذه الدراسة تشكل موضوع علم الإجتماع ومعنى ذلك أن وظيفة هذا العلم هي الكشف عن القوانين التي تحكم الظواهر الإجتماعية في حدوثها وتطورها وأدائها لوظائفها، رفض إبن خلدون وقوع الظواهر الإجتماعية مصادفة وقال أنها تخضع لقوانين وكان هذا مرتكزا لرفض الكثير من الروايات التاريخية التي لا تتفق مع هذا الطرح، كما أكد أن الانسان مدني بطبعه فهو بحاجة لغيره ويؤدي التعاون بينه وبين أبناء جنسه إلى التضامن وبدوره يشكل دعامة المجتمع إضافة إلى إستئناس الانسان بغيره من أجل إستكمال خواصه النوعية والجنسية وحاجاته الضرورية .

ذكر إبن خلدون الكثير من الظواهر الإجتماعية وأكد على القواعد التالية:

01- ضرورة الإجتماع البشري ويتمثل ذلك في مظهرين:

أ- إقتصادي: فالانسان بحاجة إلى الغذاء فلا يمكن أن يعيش دونه كما لا يمكنه أن يوفره لوحده وعليه لا بد من إجتماع القدرة الكثيرة من أبناء جنسه ليتحصل على الغذاء.



ب- دفاعي: فأفراد البشر يحتاجون للدفاع عن أنفسهم وبالتالي فهم بحاجة إلى الاستعانة ببعضهم البعض.

02- ضرورة السلطة والوازع أو الحكم حتى يستقيم الإجتماع البشري
ويضمن له الاستمرار ويسود الانسجام في تعاون بني البشر بعضهم مع بعض.

03- قانون الأطوار الثلاثة للمجتمع البشري: النشأة والتكوين، الازدهار، الشيخوخة والهرم، فمرحلة الطفولة والنشأة والتكوين تقابلها في حياة المجتمع مرحلة البداوة أو المرحلة القبلية، ومرحلة النضج أي الاكتمال أي الرجولة لدى الانسان تقابلها مرحلة التحضر في حياة المجتمع ثم فترة الشيخوخة والتي تعني مرحلة الهرم في حياة المجتمع وعبر عن ذلك بـ"فان الهرم اذا نزل بدولة فانه لا يرتفع" وحدد عمر الدولة بثلاثة أجيال.

04- التطور الإجتماعي حيث أكد أن كل المجتمعات لا يمكنها أن تعيش في ثبات وسكينة بل تتعرض دائماً للتغيير.

05- التقليد والقسر الإجتماعي "النفس تعتقد أبدا الكمال... وأن المخلوب مولع دوماً بالاقْتداءِ بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده" وفي موضع آخر يقول "النفس تنتحل جميع مذاهب الغالب وتتشبه به ذلك هو الاقْتداء" ويرى أن الأبناء متشبهين دوماً بأبائهم وذلك لإعتقاد الكمال فيهم وأن التقليد ليس ضمن الأسر فقط بل حتى الامم المتجاورة تقلد بعضها.

الأسس العقلية للنظرية الإجتماعية لدى إبن خلدون:

فالإنسان كائن عاقل له جملة من الاستعدادات، والاستعداد هو

قدرة طبيعية على إكتساب أنماط عامة من السلوك، كما خلق الله

قدرات للإنسان تمكنه من أداء الأفعال بدنياً أو عقلياً وأنها توجه

الإنسان إلى الإجتماع والذي بدوره يسعى إلى تحقيق مقاصد منها

خلق القدرة على التعاون كما أن الإنسان تدفعه غريزته إلى تنظيم

نفسه.

إن الإجماع ضروري للإنسان فهو يميل بالفطرة إلى تحصيل الغذاء والذي لا يتحقق إلا بتعاون الأفراد، كما أنه يسعى إلى تأمين القدرة للدفاع عن نفسه، وحقوق الأفراد تبقى مهددة إذا لم يتم التعاقد حول فرضية سياسية وهي التنازل للسلطان أو الحاكم.

وعليه فإن الضرورة العقلية للإجماع تتأسس ضمن ثلاث محددات رئيسية وهي الفكر ثم الحاجة لقوة قمعية وإلى سلطة الإجماع ثم ضرورة البحث عن وسائل العيش فالحياة في الإجماع والعمران الذي ينتج عنهما في الوقت نفسه تتويج لهذه الملامح.

ترتكز النظرية الإجتماعية على مفهوم الفطرة فقال تعالى بعد بسم
الله الرحمان الرحيم: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل
لخلق الله" وعليه فان الإجتماع البشري فطري.
الظاهرة الإجتماعية طبيعية بمعنى أنها إمتداد للحياة البيولوجية أي
أنها تعبر عن حاجات الانسان ونتيجة منطقية لعمل غرائزه ومادام
الانسان كائن إجتماعي بالطبيعة فهناك إستعداد فطري للإجتماع
(الانسان مدني بطبعه).

إستخلص إبن خلدون قانون التطور من خلال إستقرائه لحركة العمران وهو نتيجة واضحة للدوافع الفطرية الكامنة في النفس البشرية، كما أن حركة التاريخ تعكس المسار الغريزي التطوري للنفس البشرية وفي نفس الوقت دليل على أن هناك طبيعة في التاريخ، والنزعة الطبيعية الخلدونية تحيل إلى أن المفردات التي قدم بها إبن خلدون علم العمران هي مفردات ميتافيزيائية قطعاً، وأن طبيعة العمران تشكل البنية الرئيسية لعلم العمران وأن الاستقراء عند إبن خلدون لا يظهر الا كنتيجة منطقية للتبرير العقلي لأحوال العمران، وأن التبرير العقلي هو القانون العام الذي تتمحور حوله مختلف هذه القوانين، فقانون الظلم مؤذن بخراب العالم تبرير أنه كلما أتاحت الطبيعة الغريزية العدوانية في البشر مجالاً للظلم حدث الخراب.

تحدد النزعة الانسانية السوية معنى الفطرة وعند ابن خلدون لا
يجب وضع الفكر الإجتماعي في حدود النزعة الاستقرائية بل
نتعامل معه أيضا ضمن حدود النزعة الانسانية السوية للعيش طبقا
للقوانين الالهية أي الفطرة التي فطر الله البشر عليها .

الأسس التجريبية للنظرية الإجتماعية عند ابن خلدون:

رفض ابن خلدون الأحكام المسبقة الذاتية ونقد المعارف الجاهزة وعليه لا بد من البحث عن منطلقات واقعية من خلال شقين أساسيين هما نقد المعارف السابقة ثم بناء هذه المعرفة على أساس من التجريب، دعا ابن خلدون إلى توجيه البحث من البحث في الكليات إلى البحث في الجزئيات.

النزعة التجريبية الخلدونية هي معرفة القوانين التي تقع بمقتضاها الظواهر، ولقد أولى ابن خلدون أهمية كبرى لفكرة القانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان أو الاستحالة أي ننظر إلى الإجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن أن يتعرض له،

وإذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق وتمييزه عن الكذب بوجه برهاني ولقد أرجع ابن خلدون فساد مناهج الفلاسفة إلى أنهم رأوا في المنهج العقلي الكفيل لوصولهم إلى الحقيقة بالمقابل يؤكد ابن خلدون على التجريب الذي هو أساس المعرفة، كما أولى ابن خلدون أهمية كبيرة للملاحظة وقال أن الظاهرة يجب أن تكون في حدود المدرك المشاهد ويجب التمييز بين المشاهدة العامة القاصرة والعلمية القائمة على أساس التجارب الماضية والحاضرة.

القواعد المنهجية عند ابن خلدون:

- 01- الاستزادة من العلم
- 02- التعرف على طبائع العمران البشري
- 03- التشكك كمقدمة لليقين
- 04- التحليل العقلي
- 05- التأكد الحسي
- 06- منطق المقارنة
- 07- منطق التجريب.

نقد ابن خلدون:

هناك من نقد ابن خلدون حيث ادعوا أن فكرة المجتمع لديه لم تكن واضحة فأرجع الكثير من الظواهر إلى عوامل بيولوجية بالمقابل هناك من رد عليهم أن ما أورده من أمثلة واستشهادات استنتجها من رحلاته ومشاهداته.

- وهناك من انتقده قائلاً أنه جعل من السلطة السياسية كعامل لتطور المجتمع وهذا للحفاظ على الأوضاع السائدة.

- انه وضع قانون ثابت للتطور شبيه بقانون الكائنات الحية بالمقابل تم الرد عليهم بأنه أورد ذلك بصفته عاقلاً رأى أن كافة الكائنات الحية تولد وتنشأ وتنضج ثم تضمحل لتفنى.

- إقتصروا على أمم شمال إفريقيا وما كان يسودها لا يصلح للتعميم أو إستخلاص قانون عام يطبق على جميع المجتمعات.

كخاتمة:

نقول أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع نظرا للمعارف التي سبق غيره فيها حيث تطرق إلى أفكار ومفاهيم ومناهج إجتماعية قبل الغرب بقرون. وضع قواعد للظاهرة الاجتماعية منها الانسان مدني بطبعه، وكذا مسلمته القائلة بأن الظاهرة الاجتماعية تحكمها قوانين.

- أن التخيير من خصائص المجتمع.

- الكشف على الظاهرة الاجتماعية بالعقل والتجريب والملاحظة.

- ابن خلدون قيمة فكرية لا تضاهى فهو المربي والمؤرخ والاقتصادي

وعالم الاجتماع.

مراجع المحاضرة:

- نذير معيزي: الاسس المعرفية للنظرية الإجتماعية لدى إبن خلدون، مجلة المداد، مجلد 04، العدد 01، ماي 2016.
- عبد الهادي محمد والي: تاريخ التفكير الإجتماعي، مكتبة فقط للعلم، د.م، 2006.
- نبيل عبد الحميد عبد الجبار: تاريخ الفكر الإجتماعي، دار دجلة، د.م، 2009.